ISSN (print:): 2141-3584 ISSN (online): 3121-7877
Journal of the Faculty of Arts
Ahmadu Bello University • Zaria • Nigeria
https://journals.abu.edu.ng/index.php/zajola 13, No. 2, December, 2025

A Lamentation Art by Naseer Aliyu Alkauwas Kabara (Al-Malikey) Immortal Remembrance: An Elegy for my Father, the One who Follows in Glory, a Model

(فن الرثاء لدى ناصر علي الخَوَّاص كَبَرَ المالكي قصيدة "لذكر الخالد في رثاء الوالد ذي العز التالد"أنموذجا)

Muhammad Garba Ibrahim
Department of Arabic,
Faculty of Humanities,
Sule Lamido University, Kafin Hausa, Jigawa State
gfirstgarba@gmail.com

Abstract

The article is study of the art of elegy, which includes the environment in which the poet lives, a historical overview of the poet, and a theoretical study of elegy, Elegy is a type of literature in which the poet expresses sorrow and grief over the death of a loved one or an unfortunate event, It includes a description of deceased, highlighting their good qualities and some details about their life. It praises and recalls their virtues and good deeds, enumerates their merits and accomplishments, expresses the grief and pain felt by the mourner, and offers emotional support to bereaved person. Lamentation is considered an important part of Arabic and other word literature. He works to immortalize the memory of the dead through expressive and moving words. Studying the art of elegy in Arabic poetry has led to several important findings, most notably that elegy is not merely weeping for the dead, but rather a profound literary art that reflects the social and cultural values and philosophical perceptions of Arab society throughout the ages. The stdy also revealed its artistic and thematic characteristics, as well as its role in preserving history and documenting events. The researcher adopts a descriptive approach to highlight the effective contributions of the poet Naseer in the literary field in general and in the art of elegy in particular. The approach also includes presentation the selected poem, outlining its ideas, and drawing conclusions.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على النبي الكريم محمد وآله وصحبه ومن والاهم بإحسان إلى يوم الدين

مقدمة

إن تقدم اللغة العربية في مدينة كَنو كان بقيام رجال بلغوا القمة في بذل مجهوداتهم في نشر الثقافة العربية. فهم رجال بلغوا الذروة وتلألأ أنوارهم في أفق النجاح، فخلفوا العديد من الكتب في مختلف المجالات العلمية، كما خلفوا العديد من الدواوين الشعرية.

هذا، وقد أتاحت للباحث الفرصة أن يتعرف على بعض الجهود الإبداعية المتواصلة التي بذلها هؤلاء الرجال حيال اللغة العربية وآدابها. الأمر الذي جعل الباحث يصرخ بصوت عال قائلا: "فقد آن للإنتاجات الأدبية العربية أن تخرج من خوانق الدراويش وحلق المجاذيب... وقد آن للجيل الجديد الذين غذوا من ألبان هؤلاء الرجال وكرعوا من غدرانهم الفائضة أن يباهوا العالم بهذه العبقريات الشاردة التي تجمعت في شخصيات هؤلاء الرجال لإبراز مدى مساهماتهم في ميدان الأدب العربي النيجيري والإصلاح الوطني وما لإنتاجاتهم من الجودة والروعة والقيم الفنية.

وناصر علي الخواص من ضمن تلك الكوكبة التي لم تزل تنير للجيل بشتى أنواع من نور العلم والثمار اليانعة، لذا رأى الباحث أنه من الأهمية بمكان أن تتركز هذه المقالة في عرض القصيدة بغية إبراز ما في طياته من القيم الفنية ومدى مساهمته في الإصلاح الوطني.

وعليه، فإن هذه المقالة سوف تتعرض للجهود المشكورة التي قدمها هذا الشاعر نحو إصلاح وطنه وبناء مجتمعه على سمت أفضل ونحو أحسن، وذلك من خلال عرض قصيدته (الذكر الخالد في رثاء الوالد ذي العز التالد) مكتفية في ذلك:

البيئة التي يعيش فيها الشاعر.

الشاعر ناصر المالكي وشاعريته.
الدراسة النظرية عن الرثاء.
العرض العام للقصيدة.
الدراسة الفنية للقصيدة.
الخاتمة.
نتائج المقال.
الهوامش والمراجع.

البيئة التي يعيش فيها الشاعر:

يعيش الشاعر في ولاية كنو، في شمالي نيجيريا، شهدت مدينة كنو توسعًا كبيرًا في القرن السادس عشر الملادي، وهي فترة السلطان نزاكي (1918-1933م)[1]، وبعد قيام حركة الجهاد الإسلامي في القرن التاسع عشر، بدأت فكرة تأسيس المدرسة الثانوية النظامية العربية بعد رجوع وزير كنو من أداء فريضة الحج، وعند رجوعه مرّ بجُمهورية السودان، حيث أقام بها أياماً، وزار الثقافة العربية الإسلامية في كنو، وتتعددت المدارس العربية بتعدد الناطقين بها[2]، ومن أوائل المدارس: مدرسة علوم الدين، ومدرسة معهد الدين، ومدرسة مَيكَورُو، مدرسة سوداوا،[3] وكذلك كون مدينة كنو من أبرز المراكز التجارية في غربي إفريقيا أيضا؛ مما ساعد على كثرة زيارة العلماء إليها فيفيدون ويستفيدون[4]، وتتمثل بالأخذ بتعاليم الدين الإسلامي حتى صار نمط حياتهم، وكان الإسلام منتشرا في المدن والقرى نتيجة قيام العلماء بالدعوة والإرشاد وتدريس العلوم الإسلامية في البيوت والمساجد وتمسكا بالمذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والطرق الصوفية كما عرف الشاعر على هذا النهج[5].

ساعدت البيئة وكثرة الاطلاع على الإنتاجات الشعرية، والرحلات على توسيع خيال الشاعر ناصر المالكي وتقويته؛ من أجل هذا كان دقيقا في تصوير أحاسيسه وتجاربه الشعرية، تراه أحيانا يجسم المعنويات أو يشخصها، أو

يوضح المحسوس بغير المحسوس بواسطة ما يعرف عند البلاغيين بالتشبيه، والاستعارة، والمجاز، والكناية، وكان تصويره ملتزما بالدقة والطرافة مما جعله يصور شيئا واحدا بتصويرات مختلفة في آنٍ واحدٍ.

الشاعر ناصر المالكي وشاعريته:

هو محمد الناصر بن علي الخواص بن الشيخ الدكتور محمد الناصر كَبَرَ بن محمد المختار بن محمد الناصر المعروف بـ (طَنْ تَاتَى)، ووالدته الأستاذة حسينة بنت ألحاج حبيب (طَنْ أَلْحَجِي) بن العابد الزاهد الشيخ مصطفى[6].

ولد الشاعر في قلب مدينة كَنُو نيجيريا، في حارة كَبَرَ، عام ألف وتسعمائة وسبعة وتسعين (1997م)، نشأ في بيت علم ودين وثقافة، وتربى على يد والديه الكريمين بحارة كَبَرَ في مدينة كَنُو قريبا من بيت جده -دار القادرية-؛ ختم القرآن العظيم وله من العمر عشر على يد المعلم عبد الله الشيخ إبراهيم حفظا ودراسة، حصل على شهادة الليسانس في التربية والدراسات الإسلامية بجامعة يُوسُف مَيْتَمَا سُلَيْ كَنُو، سنة (2019م)، والتحق أيضا بجامعة الوفاق الدولية بالنيجر لنيل درجة الماجستير في الفقه وأصوله، [7] ، أشار الشاعر إلى بلده والمدينة التي ولد فيها وعن حارته في قصيدة سماها "سيرة ذاتية" قال:

كَمْ أُسْـأَلُ عَـنْ مَـنْ أَنْـتَ إِذًا وَأُجِـيْـبُ بِـبَيْتٍ مَا انْشَطَـرَا
أَنَـــا نِـيْـجَـيْـرِي مَـــــــولَـدٌ بِـكَـنُـو فِي حَـارَتِـنَا كَـبَـرَا[8]

كان الشاعر من خريج مدرسة جده الشيخ الدكتور محمد الناصر كَبَرَ –معهد الدين بحارة غَوْالَي كَنُو- حيث تلقى كلا من دراسته الإبتدائية والإعدادية والثانوية، أما علاقة الشاعر ناصر المالكي مع الشعر فتبدأ منذ العاشرة من عمره حيث يرجع من المدرسة على طريقه إلى البيت يحاول أن يردد ويغني بعض الأناشيد التى حفظها في المدرسة فيتناسى صدر بيت أو عجزه ثم يجتهد في نسخ عبارات جديدة تحل محل المتناسى هذا[9].

ويعد من أهم عناصر تكوين شاعريته بعد كونه موهوبا، جده الشيخ الشاعر محمد الناصر كبر –رحمه الله- الذي تأثر بكتاباته كل التأثر، ثم والده الفاضل الإمام علي الخواص الذي عكف على دواوينه في مكتبه[10].

وقد أسهمت شخصية الشاعر في دفع عجلة الثقافة العربية والإسلامية على مستوى الولاية والوطن وحتى العالم إسهاما ملموسا حيث يدرّس مادتي التوحيد والتصوّف بمعهد الدين للشيخ محمد الناصر كبر، ويدرّس اللغة العربية بكلية الشهيد علي الخواص للدراسات الإسلامية والعلوم العربية، ويشارك في الحركات الطوعية (الدعوية) والفعاليات الثقافية خصوصا الأنشطة الأدبية بالأخص الشعر داخل الوطن وخارجها[11].

أما شاعريته فكان ناصر المالكي شاعراً مجيداً ومتفنناً في الموضوعات الشعرية المختلفة، من مديح، وغزل، ووضف، وفخر، وحماسة، وحكمة، وتصوف، وهجاء، وتجربة ذاتية، وشعر المناسبات، والسياسة، وغير ذلك، وشارك في عديد من المطارحة الشعرية والأدبية على المستوى الإقليمي والعالمي، إنه قرض الشعر العربي منذ حداثة سنه؛ يتسم شعر ناصر المالكي في دواوينه بوضوح المعاني، على الرغم من كونه متعمق في سرد المعاني التي تتطلب من الذهن وعيا، وقد كانت معاني شعره واضحة جلية يفهمها المتلقي من غير تعب ولاعناء لأن "أفضل الشعر ما لم يحجبه عن القلب شيء"[12]، يضاف إلى ذلك أن الشاعر استطاع أن يأتي في أشعاره بتصويرات مثيرة لا تدع القارئ إلا أن يشاركه في عواطفه، وكذلك استطاع الشاعر أيضا أن يزين معانيه بالزينة البديعية التي تساعد على تعمق ظلال معانيه نبرات عواطفه، وصدر للشاعر ناصر المالكي أربعة دواوين، وهي[13]:

من الصفر حتى انتهاء العدد.

لغة مشاعر وأحاسيس.

ولا مِساس.

وتِرَاجِيدِيّا الوطن العِمْلاق.

الدراسة النظرية فن الرثاء.
الرثاء لغة البكاء على الميت ومدحه، يقال: "رَثَى فلان فلانا برثيه رثيا ومرثية، إذا بكاه بعد موته، ورثوت الميت إذا بكيته وعَدَدتَ محاسنه، وكذالك إذا نظمت فيه شعرا[14].

الرثاء اصطلاحا هو: "الشعر الذي يعبر فيه الشاعر عن الحزن واللوعة التي أصابته لغياب عزيز فيتعدد مناقبه والإرشاد بمآثره، والتوجع عليه ويتردد في الرثاء صولة الموت وسلطان الفناء ويضمن أبياتا تدعو إلى الاعتبار والزهد[15]. ويقول حنا الفاخوري: "هو إظهار التفجع والتلهف عليه واستعظام المصيبة فيه إلى أن يذكر الشاعر أحوال المرثى وظروفه التي أدركته المنون فيها[16].

إن فن الرثاء من الأغراض الشعرية العربية المألوفة للتعبير عن التفجع للميت وإظهار الأسى واللوعة لفراقه والوجد والحزن لموته. يقول الدكتور غلادنثي: "إن الشعراء في هذا الإطار يذكرون الموت وغدره ويذمون الدنيا وغرورها. فهي دار فناء، ولا يصفو فيها العيش، ولا يرتاح فيها البال. ويشيرون كذلك محاسن الميت. يصفونه بالعلم والتقوى، وبالكرم والشجاعة ومساعدة الضعفاء وغير ذلك من الأوصاف التي يستحسنونها"[17].

يستخلص مما سبق أن الشاعر عندما يطلق لسانه لقرض شعر في هذا الفن يظهر ولهه وبكاءه، كما يذكر أمجاد الميت ومناقبه وكريم صفاته مما يعني أن الشاعر بعبارة أوضح يمدح الميت. وقد أكد هذه الفكرة الدكتور شفيق عبد الرازق أبو سعدة قائلا: "الرثاء في الحقيقة مديح الميت"[18].

ويرى البعض أنه لا ينبغي أن يعطى لهذا الفن القيمة والأهمية الكبرى أكثر مما يستحق ذلك أنه فن شخصي حيث إنه لا يعتني به إلا من قاله أو قيل فيمن

ينتسب إليه فقط. فلا يرمي أساسا –على حد تعبيرهم- إلى إصلاح الوطن وبناء المجتمع على سمت أفضل ونحو أحسن. والحق أن هذه نظرة سطحية خاطئة، ذلك أن العاطفة الإنسانية التي يثيرها الشاعر، والعبرة المستوحاة التي تتجلى من خلال رثائه تعطينا صورة عامة وملخصة للحياة وأقدار الوجود. كما يعبر عن هذه الفكرة الدكتور محمد حلمي عليوه قائلا: "فمن هذا الشعر نتبين قيم الحياة الفانية وقيم الحياة الباقية عند ناظميه والمستمعين إليه، ومنه نتبين عواطف الحزن ودواعيه، كما نتبين كل خلق يتجلى في موقف الفراق الأخير، ويحمده الناس في مقام العزاء والوفاء"[19]، كما يؤكد هذه الفكرة الدكتور صبح في معرض حديثه عن دور فن الرثاء إزاء الإصلاح الوطني قائلا: "فهو يصور علاقة الإنسان بقضية القضاء والقدر ليكون مواطن الاختبار والتمحيص، فيرضى بما يملك من أمره، ويربي النفس على التأسي والصبر لمواجهة خطوب الحياة وتقلبات الزمن، ويرجع إلى الله في كل حال"[20].

هذا، وإن فن الرثاء من الفنون الأوفر حظا والأكثر رواجا لدى علماء كنو. فلا تأتي مناسبة إلا ويبادرون في قرض أشعارهم فيه، والسبب في ذلك – فيما يبدو للباحث- ما لهذا الفن من الدور الكبير نحو توعية أبناء المجتمع وزجرهم وإرشادهم لما فيه خيري الدنيا والآخرة. وفي طرف آخر أن الشاعر قد لا يقنع بالبكاء فقط بل ينظم الدموع لوعة نابضة ويوقع الألم نشيدا حيا. يقول الأستاذ الدكتور كمال بابكر: "إننا جميعا عندما نواجه لحظة الرحيل عن هذه الدنيا لا نملك إلا أن نكون صادقين أروع الصدق، فلا وقف عندئذ للكذب، ولا حيلة للإبقاء على العزيز الذي ولى سوى الدموع ومزيد من الأسى الدامي. بيد أن للشاعر موقف آخر، إذ إنه لا يقنع بالبكاء، بل ينظم الدموع لوعة نابضة، ويوقع الألم نشيدا حيا، ويفلسف أزمة المصير المحتوم كاشفا عن ثقافته وخبراته ودرجة اتزانه أو اهتزازه أو انهياره في حضرة الرحلة الروحانية[21].

قد يكون الرثاء لفرد، أو جماعة، أو مدينة، وغالبا ما يشتمل على آراء في الحياة والموت والكون والوجود، والبعث والنشور...[22].
فيما تقدم يدرك المتلقي على أن الرثاء هو التعبير عن الحزن والأسى على فقدان شخص عزيز أو على زوال شيء ذي قيمة، يتضمن الرثاء عادة تعداد محاسن الفقيد أو الشيء المفقود، وإظهار الشوق والحنين إليه، وتقديم العزاء والتصبير للآخرين، ويعتبر الرثاء من أغراض الشعر القديم والحديث، وقد اشتهر به العديد من الشعراء مثل الحنساء في رثاء أخيها صخر.

بشكل عام، يمكن تلخيص ميزة الرثاء في النقاط التالية:
التعبير عن المشاعر الإنسانية: يسمح الرثاء في التعبير عن الحزن واللوعة بطريقة مؤثرة.
تخليد ذكرى الفقيد أو الشيء المفقود: يعمل الرثاء على إبقاء ذكرى من رحلوا أو فقدوا حياة.
تقديم العزاء والتخفيف من الألم: يساعد الرثاء في تخفيف وطأة المصاب وتقديم الدعم العاطفي للمتأثرين.
توثيق الأحداث والمشاعر: يعتبر الرثاء سجلًا للمشاعر الإنسانية تجاه الفقد والأحداث المؤلمة.
إظهار القيم والروابط الاجتماعية: قد يعكس الرثاء قيم المجتمع وعلاقات الأفراد ببعضهم البعض.

العرض العام للقصيدة:
من البيت الأول إلى البيت الخامس يعبر الشاعر عن حالة من الحزن العميق والأسى الشديد؛ يصف معاناته النفسية والجسدية الناتجة عن ألم شديد بشكل مباشر وقوي، وهو يشير إلى أن دموعه لم تتوقف إلا بعد فترة طويلة:
أَبَى البَالُ إِلَّا أَنْ يَكُوْنَنَّ بَالِيَا بِهِ الْتَهَبَتْ نَارٌ تُذِيْبُ الفَيَافِيَا

وَفَـاضَتْ دُمُـوعُ العَـيِ وَابْيَضَّ لَـوْنُـهَا وَمَـا انْطَـفَـأَتْ إِلَّا لِـحُـزْنٍ صَلَانِـيَـا
سَقَـانِـي الحِـمَـامُ الشَّـرْيَ مِـنْهُ مُـجَرِّعًا فَـمَـنْ لِـي بِـتَـبْـدِيْـلٍ لِـكَـأْسٍ سَقَـانِـيَـا
وَمَـنْ لِـي بِـــإِرْوَاءٍ لِـغُـــلَّـتِـــهِ فَـــقَـدْ تَـنَـازَحَ عَـنِّـي المَاءُ، مَـا زِلْتُ صَـادِيَـا
تَـرَاكَـمَ عَـيْشِـي وَاكْـفَـهَـرَّتْ لَـيَـالُـهُ كَمَا اهْتَزَّ أَغْصَـانِي اهْتِزَازًا مُـقَاسِيَـا[23]

ومن البيت السادس إلى البيت العاشر يعكس الشاعر رحلة نفسية من الأمل إلى اليأس ثم الاستسلام والتسليم مستخدما التشبيه (أضغاث حلم) ليعكس عمق أحاسيسه:

وَلِـم لَا وَقَـدْ أُنْـعَى بِـمَا أَسْتَـحِـيْـلُـهُ وَأَحْـسِـبُـهُ أَضْـغَـاثَ حُـلْمٍ أَتَـانِـيَـا
تَـوَجَّسْتُـهُ مِـنْ دَعْـوَةٍ قَـدْ أَجَبْتُـهَا بِـجَـامَـعَتِـي وَالْـعَمُّ عِـيْسَى دَعَـانِـيَـا
وَمِـنْ بَـعْـدُ سَعدُ اللهِ لَـوَّحَـنِـي بِـهِ هَـتُـوفًا يُـعَـزِّى أَوَّلًا مَـا وَهَـانِـيَـا
فَـفِي حِينِ قَدْ صِرْتُ كَكَابُوسِ نَـاقَـةٍ مُـعَطَّـلَةٍ وَالـنَّـعيُ فِـي الجِسْمِ سَارِيَـا
وَإِنِّـــيَ لِـلَّـــهِ إِلَـــيْـــهَ لَـــرَاجِـــعٌ أُكَـــرِّرُ ذَاكَ الـنَّـصَ وَالـنُّـطْـقُ وَاهِيَـا[24]

ومن البيت الحادي عشر إلى البيت الخامس عشر يشير الشاعر إلى أن الموت أمر يصعب على العقل البشري فهمه؛ موضوع يفوق قدرة اللسان على التعبير وهو مشهور ومعروف بين الناس ولكن يكره مواجهتها أو قبولها، مبينا أن

البكاء لا يقاس بشدته؛ وأن البكاء سيستمر حتى يحين يوم موته ويدفن في التراب:

فَمَا المَوْتُ إِلَّا مَا يُجَنِّنُ عَقْلَنَا وَلَا شَكَّ يَعْلُو عَنْ بَيَانٍ لِسَانِيَا
شَهِيْرُ وَلَكِنَّ الحَقِيْقَةَ نُكرُهُ كَفَي مِنْهُ دَاءًا وَكَفَى مِنْهُ شَافِيَا
وَلَمَّا أَتَيْتُ الكَهْفَ وَقْتَ ظَهِيْرَةٍ فَهِمْتُ فَهِمْتُ الأَمْرَ مِمَّا بَدَا لِيَا
بَكَيْتُ بُكَاءًا لَا يُقَاسُ وَلَمْ يَزَلْ بُكَائِي إِلَى يَوْمٍ أَحُلُّ تُرَابِيَا
أَقُولُ مَتَى رَامَ الصَّدِيْقَانِ هَذْأَتِي ذَرَانِيَ أَسْتَقْصِي الدُّمُوعَ ذَرَانِيَا[25]

ومن البيت الخامس عشر إلى البيت الثاني وعشرين تعبر عن عميق حزن الشاعر وشوقه الشديد بشكل مباشر لفقد أبيه العزيز حيث لا يوجد من يشبهه لدبه، ويبرز قيمة الأخلاق في توجيه سلوك الأفراد:

وَكَانَ جَدِيْرًا أَنْ يَكُونَ بُكَا دَمٍ فَتَبًا لِأَجْفَانِي وَتَبًا لِمَا بِيَا
أَحِنُّ لَهُ مَنْ لَيسَ عِنْدِيَ مِثْلُهُ فَحَقٌّ لِعَيْشِي أَنْ يُرِيْدَ التَّلَاشِيَا
لَهُ يَسْبَطِرُّ الوَجْدُ أَكْرِمْ بِوَالِدِي الذي قد حوى فخر العلى والمعاليا
فَوَاللهِ قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ مِتُّ قَبْلَهُ وَلَكِنَّ رَبِّي مَنْ يُتِمُّ الأَمَانِيَا
وَلَولَا نَوَاهِي الشَّرعِ صَرَّعْتُ جَنْبَهُ وَلَكِنْ كَفَى الآثَارُ عَنْ ذَاكَ نَاهِيَا
فَقَدْتُ وَلَكِنْ كَانَ فَقْدًا لِأَمَّةٍ يُسَاعِدُنَا بِالجِدِّ دَأْبًا بَلَا رِيَا
فَقَدْتُ وَلَكِنْ لَيسَ فَقْدًا لِأَمَّةٍ بَلِ الفَقْدُ لِلدُّنْيَا أَعَمَّ النَّوَاحِيَا[26]

ومن البيت الثاني وعشرين إلى البيت السابع وعشرين يعبر الشاعر عن مشاعر الهم والحزن والحنين التي يعيشها حتى لا يستطيع أن يختم ألمه؛ مما يشير إلى أثر الذكريات على النفس البشرية وأهمية الروابط الإنسانية في مواجهة الألم مما يزيد إحساسه بالعزلة:

ألست ترى الأمطار والأرض والسما وَكُلَّ ذَوِي الإِيْمَانِ مِنْ ذَاكَ بَاكِيَا
تُهَيَّجُ رُوْعِي ذِكْرِيَاتٌ تَطُوفُ بِي فَلَا أَسْتَطِيْعُ أَنْ أَسُدَّ جُنَارِيَا
كَيَومِ خَمِيْسٍ عَالَنِي مَا سَمِعْتُهُ لِوَعْكٍ تَغَشَّاكُمْ وَأَوفَى المَجَارِيَا
وَأَمْسَيْتُ مَغْمُومًا خَيَالًا أَرَاكُمُ بِحَالٍ جُلُوسِي مَا يَعِزُّ انْتِقَالِيَا
فَإِنِّي يَتِمُّ الاتِّصَالِ بِكُمْ أَوِالْـ ـوُصُولُ إِلَيْكُمْ لَيْتَنِي مِنْكَ دَانِيَا[27]

من البيت السابع وعشرين إلى البيت الواحد وثلاثين يبين الشاعر عن الامتنان العميق لأبيه المرحوم الذي قام برعايته، وتثقيفه، وتربيته:

وَلَم أَنْسَ أَيَّامَ الصِّبَا هَبَّتِ الصِّبَا هُبُوبًا بِفَحْوَاه اسْتَقَامَتْ حَيَاتِيَا
بِكُلِّ رِعَايَاتٍ رَعَانِي بِحِجْرِهِ وَرَبَّى سَجِيَّاتِي وَأَدَّبَ حَالِيَا
وَقَوَّمَنِي منْ بَعْدِ مَا اعْوَجَّ عُودُهَا وَعَلَّمَنِي عِلْمًا مُفِيْدًا مُؤَاتِيَا
يَسَامِرُنِي لَيلًا وَلَيْسَ بِعَادَةٍ وَيُخْبِرُنِي مَثْوَاهُ فِي "فَيرَتُورِيَا"[28]

ومن البيت الواحد وثلاثين إلى البيت السادس وثلاثين تقدم الشاعر تسليط الضوء على نموذج مثالي لأبيه الصالح الذي يجمع بين العلم والعبادة والأخلاق الحميدة؛ يتعاطف ويتسامح مع الآخرين ويغفر أخطائهم:

وَكَانَ إِمَامًا أَلْمَعِيًّا حُلَا حِلًا هُمَمًا كُرَامًا عَالِمًا مُتَصَافِيَا
عَلِيًّا لَطِيْفًا لَا أَلِيًّا مُعَانِدًا صَفِيًّا وَصُوفِيًّا ذَكِيًّا وَزَاكِيَا
سَمِيْقَ المَعَالِي قَائِمَ اللَّيلِ صَائِمَ النَّهَارِ قَنُوعًا صَالِحَ القَلْبَ صَافِيَا
أَمِيْنًا فَطِينًا ذَاكِرًا لَيْسَ مَاكِرًا حَمِيدَ السَّجَايَا سَامِحًا لَيْسَ قَاسِيَا
كَفَاهُ اسْتَنَادًا مَا اسْتُضِيْفَ بِأَكْلِهِ مِنَ السُّمِ فِي أَعْضَاءِهِ كَانَ سَارِيَا[29]

من البيت السادس وثلاثين إلى البيت الأربعين يصف الشاعر أباه بأنه يتمتع بصفات إيجابية عالية؛ تشير إلى مكانته العالية في الآخرة، وسلوكه الحسن في الدنيا:

شَهَادَتُهُ تَعْلُو لِأَعْلَى مَرَاتِبٍ مُجَمَّعَةٍ لَم يُرْوَى لِلأَمْرِ ثَانِيَا
فَمَأْوَاه جَنَّاتِ الفَرَادِيْسَ زَخْرَفَتْ بِكُلِّ نَعِيْمٍ مُنْزَلًا لَا نِهَائِيَا
كَفَاهُ اقْتِخَارًا مَا يَفُوهُ بِهِ المَلَا مِنَ الخَيْرِ زِدْ مَعْرُوفُهُ المُتَنَامِيَا
كَفَاهُ اعْتِزَازًا مَدْحُ أَعْدَائِهِ لَه (تَرَى عِنْدَهُ إِحْسَانَهُ وَالأَيَادِيَا)
تَعَامُلُهُ بِالنَّاسِ أَحْسَنُ سِيْرَةٍ مَكَارِمُهُ يُتْلُو مِرَارًا كَمَا هِيَا[30]

ومن البيت الأربعين إلى البيت السادس وأربعين تسليط الضوء على أمانة الممدوح حيث أن الأتراك يرسلون أموالهم الطائلة في الأوقات والمناسبات الدينية:

فَفِي عِيدِ أَضْحَانَا وَسِيمٌ بِنَهْضَةٍ مُقَدِّمَةٍ لِلمُسْلِمِيْنَ تَسَاخِيَا
بُزُولُ قَنَاعِيْسٍ بِهِ تَمَّ ذَبْحُهَا بِنِيَّةِ قُرْبَانٍ لِإِخْوَانِ "تُرْكِيَا"
هُمُ أَرْسَلُوا أَمْوَالَهُمْ لِأَمَانَةٍ رَأَوْا عِنْدَهُ فَاللهُ مِنْ ذَاكَ جَازِيَا
ثَمَانِيَ مِلْيُونًا يَنُوفُ حِسَابُهَا وَهَلْ يَأَمَنُ الأَتْرَاكُ مَنْ لَيْسَ وَافِيَا
وَهَل يَحْنَظِي بِالخَير مَن لَيسَ أَهْلَهُ وَهَل يَحْسُدُ الحُستَّادُ مَنْ لَيْسَ حَاظِيَا
وَلَو كِيْلَ أَعْمَالُ الشَّهِيدِ لَفَارَقَتْ وَشَالَتْ بِلَا شَكٍّ جِيَالَا رَوَاسِيَا(31)

ومن البيت السادس وأربعين إلى البيت الثامن وأربعين يعكس الساعر حالة الموت ودقتها وتأثيرها على النفس البشرية؛ ويعبر عن مشاعر الخوف والغموض التي تحيط بها وأن الأماني قد لا تتحقق مهما كانت الخطة محكمة، وأن الواقع قد يحبط حتى أفضل التصميمات:

وَمَا المَوتُ إِلَّا سَارِقٌ خِفَّ مَشْيُهُ يَجُولُ عَلَيْنَا مُمْعِنَ النَّظْرِ حَافِيَا
يَشُوبُ أَمَانِي الحَيِّ كَيلَا يَصُوبُهَا فَيُصْبِحُ فِي الرَّمْسِ المُكَنَّفِ حَارِيَا

ومن البيت الثامن وأربعين إلى البيت الثالث وخمسين تعبر الأبيات عن شعور عميق بالاستنكار الشديد والغضب تجاه القاتل، وتعكس مشاعر الحزن لفقدان الأب، كما أنها تعبر عن الفخر بالشهادة حيث يفتخر بها الشاعر ويعتبرها مكافأة عظيمة:

فَسُحْقًا فَسُحْقًا مِنْ إِلَهِي وَلَعْنَةً عَلَيْكُم مِنَ اللهِ الَذِي كَانَ حَافِيَا
وَبَدِّدْهُمْ رَبِّي بَيَادًا مُؤَبَّدًا إِلَهِي أَجِبْ لِي لَا تُخَيِّبْ رَجَائِيَا
فَأَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ مِمَّا فَعَلْتُمُ جَزَاكُمْ إِلَهِي وَهُوَ مَنْ لَيْسَ فَانِيَا
قَتَلْتُمْ أَبِي سَمًّا وَحُزْتُم مُرَادَكُم فَدُمْ يَا عَدُوَّ اللهِ إِنْ كُنْتَ بَاقِيَا
بَدَى بَيْنَنَا أَيًّا تَكُونُ عَدَاوَةٌ (عَدُوًّا يُنَادِي أَوْ عَدُوًّا يُدَاجِيَا)
هَنِيْئًا هَنِيْئًا بِالشَّهَادَةِ مَا لَهَا مِنَ الفَخْرِ وَاسْتِعْظَامِ أَجْرِي كَفَانِيَا[32]

ومن البيت الثالث وخمسين إلى البيت السابع وخمسين يتضرع الشاعر إلى الله سبحانه وتعالى أن يثبت حسنات الشهيد؛ ويمحو سيئاته، يتخذ الشاعر وسيلة في دعاءه جاه رسول الله ويختتم بصلوات على النبي الكريم مع أهل البيت:

سَأَلْتُكَ يَا رَحْمَانُ ثَبِّتْ مَحَاسِنَ الشَّهِيْدِ أَيَا غَفَّارُ وَامْحُ المَسَاوِيَا
بِجَاهِ رَسُوْلِ اللهِ مَنْ عَمَّ فَضْلُهُ بِكُلِّ ذُرَى الإِلْحَاحِ أَفْتَئُ دَاعِيَا
وَصَلِّ وَسَلِّمْ لِلْحَبِيْبِ محمد الَّذِي كَانَ مُخْتَارًا بِيَثْرِبَ ثَاوِيَا
مَعَ الآلِ أعلام الهدى منبع الندى وَعَمَّ جَمِيْعَ الصَّحْبِ مَنْ لَيْسَ بَاغِيَا[33]

الدراسة الفنية للقصيدة:

قد كانت الفنون بصورة عامة منذ أقدم العصور تعني بالمضمون والشكل، والشعر كان يؤكد أهميتهما، يتناول مضمون القصيدة وشكلها لكي يرى الباحث الأفكار التي تدور حولها القصيدة، وعنوان القصيدة، ومطلعها، ومقطعها، ويظهر الباحث ما قام به الشاعر في تنسيق ألفاظه وتعبيره:

أفكار القصيدة:

يراد بالفكرة عند الفنيين الإحساس والشعور النفسي الكامن في نفس الأديب أو الصورة الذهنية لأمر ما، وهو إعمال العقل في العلوم للوصول إلى معرفة مجهولة أو إعماله في مشكلة للوصول إلى حلها[34]، يلاحظ المتلقي أفكار الشاعر الرئيسة فيما يلي:

(أ)الحزن: يعبّر الشاعر عن حالة من الحزن العميق والأسى الشديد؛ حيث يصف معاناته النفسية والجسدية الناتجة عن ألم شديد بشكل مباشر وقوي؛ يشبه حزنه باهتزاز أغصان الشجرة بشكل قاسٍ ومؤلمٍ، وهو يشير إلى أن دموعه لم تتوقف إلا بعد فترة طويلة، وذلك في قوله:

أَبَى البَالُ إِلَّا أَنْ يَكُوْنَنَّ بَالِيَا بِهِ الْتَهَبَتْ نَارٌ تُذِيْبُ الفَيَافِيَا

وَفَاضَتْ دُمُوعُ العَينِ وَابْيَضَّ لَوْنُهَا وَمَا انْطَفَأَتْ إِلَّا لِحُزْنٍ صَلَانِيَا

سَقَانِي الحِمَامُ الشَّرْيَ مِنْهُ مُجَرِّعًا فَمَنْ لِي بِتَبْدِيْلٍ لِكَأْسٍ سَقَانِيَا

(ب) ذكر الموت: يذكر الشاعر أن الموت أمر يصعب على العقل البشري فهمه أو تقلبه بشكل كامل؛ -يفوق قدرة اللسان على التعبير عنه بشكل كافٍ-، في قوله:

فَمَا المَوْتُ إِلَّا مَا يُجَنِّنُ عَقْلَنَا وَلَا شَكَّ يَعْلُو عَنْ بَيَانِ لِسَانِيَا

شَـهِـيْرُ وَلَـكِـنَّ الحَـقِـيْقَـةَ نُـكـرُهُ كَـفَـي مِـنْـهُ دَاءًا وَكَـفَـى مِـنْـهُ شَافِيَا
وَمَـا المَوتُ إِلَّا سَـارِقٌ خِـفَّ مَشْيُـهُ يَـجُولُ عَلَـيْـنَـا مُـمْعِنَ الـنَّظْرِ حَـافِيَـا
يَـشُوبُ أَمَـانِي الـحَـيِّ كَـيلَا يَـصُوبُـهَـا فَـيُصْبِحُ فِي الرَّمْسِ الـمُكَنَّـفِ حَـارِيَـا

(ج) المدح: يذكر أمجاد الميت ويبرز دوره في تعليمه السلوك الحسن والأخلاق الحميدة؛ وتزويده بمعرفة مفيدة ومتوافقة مع طموحاته، في قوله:
وَكَـانَ إِمَـامًا أَلْـمَـعِـيًّـا حُـلَا حِلًا هُـمَـمًا كُـرَامًـا عَـالِـمًـا مُـتَـصَافِـيَـا
عَـلِـيًّـا لَـطِـيْفًـا لَا أَلِـيًّـا مُـعَانِـدًا صَـفَـيًّا وَصُـوفِـيًّـا ذَكِـيًّـا وَزَاكِـيَـا
سَـمِـيْقَ الـمَعَـالِـي قَائِمَ اللَّيلِ صَائِمَ النَّـهَارِ قَـنُـوعًـا صَالِحَ القَلْبَ صَـافِيَـا

(د) يصور الشاعر شخصية مثالية تتميز بالأمانة، والذكاء، والحفظ، والصدق، وحسن الخلق، والعفو، واللطف، إنه نموذج للشخصية الكريمة والمحبوبة. يستخدم الشاعر التضاد (مثل "ليس ماكرا" و"ليس قاصيا") لتعزيز إبراز الصفات الإيجابية المذكورة.
أَمِـيْـنًـا فَـطِـينًـا ذَاكِـرًا لَـيْسَ مَـاكِـرًا حَـمِـيدَ السَّجَـايَـا سَامِـحًا لَيْسَ قَـاسِيَـا

(ه) التضرع إلى الله: يتضرع الشاعر إلى الله سبحانه وتعالى أن يثبت حسنات الشهيد؛ ويمحو سيئاته. يتخذ الشاعر وسيلة في دعائه جاه رسول الله ﷺ ملجأ في دعائه، ويختم بصلواتٍ على النبي الكريم؛ إشارة إلى عظمة فضله ورحمته.

سَأَلْتُكَ يَـــا رَحْـمَانُ ثَـبِّتْ مَحَاسِنَ الشَّـهِـيْدِ أَيَـا غَـفَّـارُ وَامْـحُ الـمَسَاوِيَـا
بِـجَـاهِ رَسُـوْلِ اللهِ مَـنْ عَـمَّ فَـضْـلُـهُ بِكُـلِّ ذُرَى الإِلْـحَـاحِ أَفْـتَـئُ دَاعِـيَـا
وَصَـلِّ وَسَـلِّمْ لِـلْـحَـبِـيْـبِ محمد الَّـذِي كَـانَ مُـخَـتَـارًا بِـيَـثْـرِبَ ثَـاوِيَـا

مطلع القصيدة
كانت حياة الشاعر ناصر المالكي تنطوي في طياتها بطابع ديني، ومطلع شعره يختلف تمام الاختلاف عن قصائد الشعراء الجاهلية؛ إذ أنهم يفتتحون قصائدهم بالنسيب والبكاء على الأطلال وذكر أيام الحرب، فيستهل الشاعر قصيدته بالكاء على الميت ليشعر الناس مدى حزنه وحسرته لفقد الميت، مما يعني أن العاطفة قوية جياشة. ويتضح ذلك جليا في الأمثلة التالية:
أَبَـى الـبَـالُ إِلَّا أَنْ يَـكُـوْنَـــنَّ بَـــالِـيَـا بِـهِ الْـتَـهَـبَتْ نَـارٌ تُـذِيْـبُ الـفَـيَـافِـيَـا

إن هذا المطلع لا ريب جيد، تعود جودته فيما يبدو للباحث إلى شدة ارتباطه بموضوع القصيدة ودلالته عليه؛ وآلة لإظهار ما في ضمير الشاعر، لأنه يوحي بمجرد استماعه إلى أن القصيدة رثائية بحتة.

مقطع القصيدة
إذا كان المطلع مفتاح القصيدة ولبنتها الأولى كان المقطع بحق أن يكون مغلقا لبنتها الأخيرة التي يضعها الشاعر، يقول الشاعر:

وَصَـلِّ وَسَـلِّمْ لِـلْـحَـبِـيْـبِ محمد الَّـذِي كَـانَ مُـخْـتَـارًا بِـيَـثْـرِبَ ثَـاوِيَـا

هذا المقطع في رأي الباحث جيد؛ لأنه يوحي بانقطاع القصيدة واختتامها، وأن المتلقي لا يطلب بعد الصلاة على النبي محمد ﷺ المزيد.

الخاتمة:

تناولت المقالة في الصفحات السالفة قصيدة (الذكر الخالد في رثاء الوالد ذي العز التالد) لشاعر من شعراء مدينة كنو؛ حيث اتخذ الشاعر فن الرثاء وسيلة إلى المساهمة – بقسط وافر- في توعية أبناء مجتمعه واستدعاءهم إلى التحلي بالأخلاق الحميدة المؤدية إلى الفلاح الدنيوي والأخروي، حيث يربي النفس على التأسي والصبر على مواجهة شظف العيش وقساوتها. وفي طرف آخر أن هذه القصيدة تعدّ تحفة إلهية الذي تمثل الفكر النيجيري، ومدى المستوى الثقافي لدى الجيل الجديد من شعراء المسلمين الشباب، وحري أن يكون الشاعر وأمثاله موضع اهتمام الباحثين.

نتائج المقالة:

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث خلال قيامه بهذا البحث الوجيز ما يلي:
قد استطاع الشاعر من خلال رثاءه الكشف عن كوامن نفسه بصورة شعرية بقدر لا تستطيعه اللغة العادية.

إن الشاعر عندما يطلق لسانه لقرض شعر في هذا الفن يظهر ولهه وبكاءه، كما يذكر أمجاد الميت ومناقبه وكريم صفاته.

القصيدة "الذكر الخالد في رثاء الوالد ذي العز التالد" تحتوي على كمّ هائل من القيم الفنية كما تحتوي على الصور الأدبية المختلفة.

تحتوي القصيدة على أهم خصائص شعر الرثاء الثلاثة: التأبين، والندبة، والعزاء أو التعزية، كما أن بها آليات الفن ولإبداع والابتكار.

وهي تدل على موهبة الشاعر المالكي للأدب العربي، وشاعرية قوية، وعاطفة جياشة، ولغة سليمة، وأسلوب رائع ورصين.

إن الشاعر في رثاءه لأبيه يذكر الموت والحث على الأعمال الآخرة والتخلق بأخلاق الفاضلة.

قائمة الهوامش والمصادر

قائمة الهوامش والمصادر

- المالكي، ن،ع. (2022م). 10. من الصفر حتى انتهاء العدد، ط2.
- المالكي، ن،ع. (2022م). 12. المصدر السابق.
– كبر، ش، (2013م). 32. "صور بيانية في شعر الشيخ محمد ناصر الكبري" دراسة بلاغية تحليلية لنماذج مختارة، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو.
– كبر، ش. (2023م). 32. المرجع نفس.
- المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- غرب، إ، م. (2024م). 285 "الشعر العربي والاتجاهات الجديدة في أشعار ناصر علي الخوّاص كبر (المالكي)"، مجلة الوعي للدراسات العربية والأدبية، قسم اللغة العربية، كلية الإنسانية، جامعة كاشيري الفيدرالية، غومبي، المجلد الأول، العدد الأول.
- المالكي، ن،ع. (2022م). 9. المصدر السابق.
– تجاني، م.، عبد الحميد، ع. (2023م). 140- 162. دلالة الموفيمات المقيدة في الأفعال الماضية المزيدة في ديوان "من الصفر حتى انتهاء العدد" لناصر المالكي، مجلة دراسات عربية، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو، العدد: الثامن عشر.
- المالكي، ن،ع. (2022م) .21 . المصدر السابق.

- المالكي، ن،ع. (2022م). 9. المصدر السابق.
- غرب، إ، م. (2024م). 220-238. "ظاهرة التكرار في ديوان لغة مشاعر وأحاسيس للشاعر ناصر علي الخوّاص المالكي"، مجلة غِنْسَوْ للدرسات العربية، السلسلة الجديدة، قسم اللغة العربية، جامعة سُلِي لاميطو، كفن هوسا، العدد الأول، الرقم الأول.
- القيرواني، ر. (1997م). 252. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط1، ج1، تح: هنداوي، ع. المكتبة العصرية، بيروت- لبنان.
- المالكي (2022م). 17. المصدر السابق.
- ابن منظور. (1996م) 286. لسان العرب، الجزء الخامس، دار إخياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
- عتيق، ع. (1972م). 179. في النقد الأدبي، ط2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- تاريخ الأدب العربي، ج2، ط1، دار الفكر، بدون التاريخ، ص: 67.
- غلادنثي، ش، أ. (د ت). 138. حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، المكتبة الإفريقية، دار المعارف، القاهرة،.
- شفيق، م. (1982م). 103. حول الأدب الجاهلي وقضاياه.
- حلمي، م. (د ت). 103. نظرات في الأدب الجاهلي.
- علي، ع، ص. (1985م). 44. في الأدب الجاهلي دراسة ونقد.
- بابكر، ك. (2010م). 1. شعر الرثاء في صوكوتو خلال القرن التاسع عشر الميلادي، دار الأمة للنشر والتوزيع، كنو نيجيريا.
- عودة، ه، أ. (2013م). 151. الكافي في التعبير، شركة أبناء شريف الأنصار للطباعة والنشر والتوزيع، الدار النموذجية، صيدا- بيروت- لبنان.
. المالكي، ن، ع. (2022م). 92. لغة مشاعر وأحاسيس.
- المالكي، ن، ع. (2022م). 93. المصدر نفسه.
- المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- المالكي، ن، ع. (2022م). 95. لغة مشاعر وأحاسيس، المصدر السابق.
- المالكي، ن، ع. (2022م). 96. لغة مشاعر وأحاسيس، المصدر السابق.

- المالكي، ن، ع. (2022م). 97. لغة مشاعر وأحاسيس، المصدر السابق.
- المالكي، ن، ع. (2022م). 101. لغة مشاعر وأحاسيس، المصدر السابق.
- المالكي، ن، ع. (2022م). 102. لغة مشاعر وأحاسيس، المصدر نفسه.
- المالكي، ن، ع. (2022م) .103. لغة مشاعر وأحاسيس، المصدر نفسه.
- المصدر السابق، ص: 105.
- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

34- القرطاجني، ح. (1986م). 42. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ط1، دار الكتب الشرقي.